

وهي موقنة أني لن أزور قبرها ، وكأنا أردت أن أغالط نفسي قبا
نحسه من الوخز والندم ، فجلت أزورها من حين إلى حين ، ولكني
كنت أتسلل كاللص ، وأتخير أوقاتا غير أوقات الزيارة المألوفة ،
فلا يعلم بذلك أحد ، ولا يراني مخلوق ، ثم كفت لأنى أنكرت
هذا كله من نفسي ، وكبر على أن أذهب إلى المقابر على رجلى ،
وقلت لنفسي : « إذا كان المراد بالزيارة الذكر ، فإنها به أبدا بين
العين والقلب ، وإذا كان صحيحا ما يقال من أن الميت يموت مرة
أخرى كلما نسيه واحد من الأحياء ، فاني لن أجنى ميتة جديدة
على أمي مادمت حيا »

ولم يفتر ندمي مع ذلك ، فظل دائرا في نفسي ، فتشددت ،
وحملت نفسي على مكروهما ، ومضيت إلى قبرها في ليلة سوداء
— أعنى مظلمة — وفتحت الباب ودخلت القبرة وقلت « السلام
عليكم » كأنما أردت أن أونس نفسي بصوتى في هذه الوحشة ،
فما راعني إلا صوت يقول : « وعليكم السلام » من تراك
تكون ؟ »

فذهرت ، وهمت بالجرى ، ولكني استحييت ، فما يمكن
أن يرد السلام غير حياء ، ولعله مسكين أوى إلى هذا المكان
الموحش من الفاقة ، وما أكثر من رأيهم يفعلون ذلك ! فما
خوفى من رجل يقول : « وعليكم السلام » ؟؟ ولو كان امرأ
سوء لاستخفى ، فتشجعت وأدرت عيني في المكان فلم تأخذ
شيئا في هذا السواد ، فقلت :

« من عمالك تكون أنت يا صاحبي ؟ »

فقال الصوت : « وما سؤالك هذا ؟ لن تعرفني على كل
حال . فاني قديم -- قديم ، ولكن تمال ساعدنى واحتقب
شكرى »

فدنوت منه — أعنى من مصدر الصوت — وسألت :

« على أى شيء تريد أن أساعدك ؟ »

قال : « على حمل هذا الحجر — فقد وهن عظمى جداً »
قلت : « ولماذا تريد أن تحمله ؟ دعه حيث هو ، فإنه من
حجارة القبرة وليس لأحد أن يزحزحها عن مكانها أو ينقلها »

قال : « انك ممذور »

قلت : « كيف ؟ ماذا تعنى ؟ »

في الجبانة للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

قالت لى أمى — رحمها الله -- مرة :

« ألا تنوى أن تزور أباك في هذا الموسم ؟ »

وكنا قد أوشكنا أن ندخل في رجب ، وكانت حريصة على
زيارة موتاها في كل موسم ، بل في كل خميس وجمعة ، لا تهمل
منهم أحداً ، فتطوف بهم جميعاً وتقرأ لهم الفوائج ، ولا تأكل
فاكهة جديدة حتى « تفرق » منها على قبورهم ، وكان ذلك يتقل
على ، ولكني كنت أركها إلى رأيها فيه ، لإثارة لمرضاها
فقلت — بلهجة من ضاق صدره — : « كيف أزوره وهو
ميت وأنا حي ، وهو تحت الأرض وأنا فوقها ، فلا يسمع منى
ولا يرانى ولا يحسنى ؟ »

فقلت : « لاني أراك معتراً بالحياة ومعتراً بها ، ولا أستحسن
لك هذا » ولم ترد ، فأفصرتُ أما أيضاً وقد شعرت أني آلتها
بسخافتي وحماتي ، وكرت الأيام ، فما يقف الدهر ، وماتت
— كما يموت كل حي — فكان أوجع لى من موتها أنها ذهبت

وكما تناولت أمى شيئاً أو صنعت شيئاً خلقت معه شيئاً ؛
أشياءها لا تزيد بها الطبيعة ، ولكن تزيد بها النفس
فيا كبيداً طارت صدوعاً من الأمى

ورأيتنى يومئذ في حالة كغشبية الوحي ، فوقها الأدمية
ساكنة ، وتحتها تيار اللائكة يصب ويجرى

يا سحر الحب ! تركتني أرى وجهها من بعد هو الوجه
الذى تضحك به الدنيا وتعبس وتنظيف وتتخامق أيضاً . . .
وجعلتني أرى تلك الابتسامة الجميلة هي أقوى حكومتى
في الأرض

وجعلتني ياسحر الحب ! وجعلتني ياسحر الحب مجنوناً . . . !

(طبق الأصل) (ملطفاً)

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

الميت الجديد يلف في أكثر مما يحتاج إليه ، ولكنه لم يمت مع
الأسف ، فلم أجد حيلة إلا أن أجعلها دقة بدقة ، والبادي أظلم ،
فذهبت أرثاد هذه الجبانة حتى رأيت كفنًا من الحرير لأشك
في أنه الكفن المسروق ، فخنثها بشق منه وتركت شقًا »

وضحك - أعني أنه أخرج صوتًا سألته عنه لأنى حسبته كلامًا
فقال إنه كان يضحك ، فمرت في بدني رعدة ، واستأذنته
في الانصراف

فقال : « ألا تعينني ؟ إن الحجر ثقيل ، وأنا هرم ، وقد فتر
نشاطي من طول الرقاد »

فتناولت الحجر من ناحية ، وتناولته من طرفه الآخر ،
ووضعتاه معًا على ظهره ، وذهب بخطو ، وكانت عظامه تقرقع
وهو يمشي ، فلما بلغ الباب سألته :

« ألم يبق هنا أحد منكم ؟ »

قال : « لا . . . ماذا نصنع هنا ؟ كلا . ليين فوقها الأحياء
إذا شاءوا »

قلت : « وأين ذهبتم ، فقد نحب أن نروركم »

قال : « أين ذهبنا ؟ وأين تنتظر أن نذهب ؟ انتشرنا في
فضاء الله ، فإن أرضه مازالت واسعة ، ولن ندم فيها منأى عن
مساكن الأحياء . . . وعلى ذكر ذلك أسألك : ألسن تموتون
في هذه الأيام ؟ »

قلت : « ياله من سؤال ؟ كيف لا نموت ؟ »

قال : لماذا إذن هذا الزحف علينا كأن الدنيا تضيق بكم
و كأنكم تريدون ولا تنقصون ؟ لماذا لا يكفيكم ما كان يكفيني ؟
كل الجبانة المشهورة صارت أحياء عامرة بالسكان فكيف هذا ؟
فسألته : « وجلا عنها الموت ؟ »

قال : « بالطبع ! وهل يمكن أن يمتلوا الناس ؟ إذن لماذا
ماتوا ؟ »

قلت : « هل تفزعكم الحياة الى هذا الحد ؟ »

قال : « كما يفزعكم الموت - كلا . لا يطبق الحياة من
نجانها . . . والآن عم مساء يا صاحبي ! هل لك في مرافقتي ؟
لا ؟ لا بأس ! لا بأس ! كل نبي مرهون بوقته . . . »

فلم أطق أكثر من ذلك ، وخرجت من الجبانة أعدو . . .
إبراهيم عبد القادر المازني

قال : « هذا قبري . وهذا من سواء - عليه اسمي
مكتوبًا . . . تستطيع أن تقرأه إذا شئت »

فكان من دواعي عجبى بعد ذلك انى لم أذعر ولم أول هاربًا ،
بل أقبلت عليه أسأله وأستخبره فقال :

« لقد هجرنا جميعًا هذه المقبرة المهملة - لم يبق لنا فيها مقام .

وكيف المقام في قبور منهمة ؟؟ لقد كانت جديدة حسنة البناء
يوم جئنا ، وكان أهلنا - الباقون منا على قيد الحياة - يبنون بها
ويرشون أرضها بالماء ويحملون إليها الزهر والياحين ، فكان

نشرها بفوح ويتضوع ، فاذا جن الليل خرجنا من القبور
مسرورين وأقبلنا عليها نشمها وننعم بشذاها ، وكان القراء يتلون
على أجدائنا القرآن فيندى على قلوبنا وترن له نفوسنا ونحس أن

عظمانا قد طربت . أما الآن . . . ؟ لا يا صاحبي ، لم تمد هذه
المقبرة سالحة للإقامة ! وقد هجرناها ، وجمع كل منا كفته وحمل
من له حجر حجره ، ورحلنا ، وكيف كان يسعنا غير ذلك ؟ انها

لم تمد جبانة . . . هذه هي مساكن الأحياء أراها من مكاني
هنا . . . فهل هذه مقبرة ؟ لقد زحف الناس بينناهم وغزوا أرضنا
وجاروا علينا ، وجاورونا ، فبالله كيف تطبق جوارهم ؟ كيف

يحتمل لعظمهم ونجاتهم التي لا تنتهي ؟ ما عسى صبرنا على حركاتهم
التي لا يعقبها سكون ؟؟ لكانا ما متنا ولا استرحنا إذن ! ؟ وأقول
لك الحق لقد بدأنا نأسف على أننا متنا . . . لا يا صاحبي ، لم يبق

هذه الأرض الموتى ، ولم يعد ثم مقر من الرحيل عنها . . . لقد
تعبنا جدًا هنا واضطررنا الى ما لم يكن لنا في حساب . ومن لطف
الله بنا أن هذه البلاد قليلة الطر ، ومع ذلك كنا إذا أمطرت

ينغذ إلينا الماء من سوء حال القبور ، وتبتل أكتفاننا فنضطر
إلى الخروج وننشرها بين أيدينا أو على هذا السور حتى تجف
وتمود سالحة للبس . وعلى ذكر ذلك أقول انى لا أدرى ماذا جرى

للدنيا ؟ لقد كانت حفيذة لى مدفونة هنا ، وكان عليها كفن من
الحرير الغالى ، فسرقه لص ! تصور هذا ؟ ولا أعلم هل سرقه
واحد من الأحياء ، أو تفعلتها ميتة أخرى وسرقته ؟ فان كان

السارق من الموتى فلا بد أن يكون من جيراننا فما فى أسرنا هذا
السوء . وقد شكت إلى ما صارت إليه من المرى ، فلم أدر أول
الأمر ماذا صنع ؟ وكيف أكوها ؟ وخطر لى أن أنظر حتى

يجئنا ميت جديد ، أو يموت ابنها فأخذ من كفته لها ، فان